

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، وننتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و
 سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن
 محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بَلَّغَ الرِّسَالَةَ و نصح الإمامة و دعى الله
 حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى
 يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
 كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٢﴾ آل عمران: 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدى، هدى محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها
 و كلُّ مُحدثَةٍ بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه و سلم
 عن الساعة. فقال: (أخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال:
 فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها، و أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء
 يتطاولون في البنيان).

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا في هذا الحديث أن الله عز و جل اختص نفسه بعلم الساعة، فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله سبحانه و تعالى.

و الإيمان باليوم الآخر أو الساعة أصل من أصول الإيمان و أركانه، كما قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابَ وَالتَّيِّبِينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة: ١٧٧

فالحصول على البر، لا يتحقق إلا بالإيمان باليوم الآخر، و لذلك فإن للإيمان باليوم الآخر أثرا عظيماً على الإنسان في الدنيا و الآخرة.

و لما كان اليوم الآخر من الأمور الغيبية، أعان الله سبحانه و تعالى خلقه على الإيمان به بأمر كثيرة، و من ذلك ربط هذا الغيب بالأمور المحسوسة، فإن الغيب إذا ربط بالأمور المحسوسة سهل الإيمان به على الإنسان، و من هذه الأمور المحسوسة التي تعين على الإيمان باليوم الآخر، أشراف الساعة. و إذا كان الله سبحانه و تعالى قد أخفى الساعة عن الخلق، فقد جعل لها عز و جل علامات تدل على قرب وقوعها، و من الآيات الدالة على ذكر الأشراف قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهَا ۗ﴾ محمد:

١٨

أشراطها أي أماراتها و علاماتها.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ لقمان: ٣٤

و قال تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ الأنعام: ٥٩

و

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسُوءُ كَمَا كَانَ حَفِيٌّ عَلَيْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

الأعراف: ١٨٧

و جاء في السنة أنّ الساعة تقوم يوم الجمعة، أمّا من أيّ سنة؟ و في أيّ شهر من السنة؟ و في أيّ جمعة من الشهر؟ فلا يعلم ذلك إلا الله، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، و فيه أُدخل الجنة، و فيه أُخرج منها، و لا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)

و رواه أبو داود و النسائي بلفظ: خيرُ يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم،
وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، و فيه مات، و فيه تقوم الساعة، و ما من دابةٍ إلا و هي
مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة إلا الجن و الإنس)
و هو حديث صحيح، رجاله رجال الشيخين، وهذه الزيادة في آخره تدلُّ على أنَّ الساعة
تقوم في أوَّل النهار قبل طلوع الشمس.

و يُطلق لفظ الساعة و يُرادُ به الموت عند النفخ في الصور، كما قال صلى الله عليه و سلم:
(لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) رواه مسلم، و كلُّ مَنْ مات قبل ذلك فقد جاءت
ساعته و قامت قيامته، و انتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، و يُطلق هذا اللفظ و يُرادُ بها
البعث، كما قال الله عزَّ و جلَّ في آل فرعون:

قَالَ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

﴿ غافر: ٤٦ ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ سبأ: ٣

و كان الرسول صلى الله عليه و سلم عن الساعة يُسألُ باستمرارٍ عن الساعة، فيُجيبُ مَنْ
سأله ببيان بعض أماراتها، أو يُلفت نظر السائل إلى ما هو أهم من سؤاله. فقد روى
البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أعرابياً سأل النَّبِيَّ صلى الله عليه و سلم، و
قال: متى الساعة؟ فقال: (فإذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعة).

و روى البخاري و مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: و ماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أنني أحبب الله و رسوله صلى الله عليه و سلم، فقال: أنت مع من أحببت).

للساعة أمارات أو علامات كما بيّن الرسول صلى الله عليه و سلم. و هذه الأمارات إما أن تكون قريبةً من قيام الساعة و إما أن تكون قبلها بأوقات بعيدة. و قد قسم العلماء هذه الأمارات إلى علامات الساعة الصغرى و علاماتها الكبرى. و سوف نتعرض في هذه الخطبة لبعض علامات الساعة الصغرى التي ذُكرت في هذا الحديث و غيره:

فمن علامات الساعة التي ظهرت و ذكرها رسولنا الكريم في حديث جبريل: أن تلد الأمة ربّتها، و أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

معنى أن تلد الأمة ربّتها. فسّر بأنّه إشارة إلى كثرة الفتوحات و كثرة السبي، و أنّ من المسبيّات من يطؤها سيدها فتلد له، فتكون أمّ ولد، و يكون ولدها بمنزلة سيدها، و فسّر بتغيّر الأحوال و حصول العقوق من الأولاد لأبائهم و أمهاتهم و تسلّطهم عليهم، حتى يكون الأولاد كأنهم سادة لأبائهم و أمهاتهم

و معنى قوله: و أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان).

هو أنّ الفقراء الذين يرعون الغنم والإبل و لا يجدون ما يكتسون به تتغيّر أحوالهم و ينتقلون إلى سكنى المدن و يتطاولون في البنيان و يتفاخر الناس بالبنيان الشاهق، و زخرفة البيوت بعد أن كانوا حفاة يعيشون في خيام الشعر و يرعون الشياه و البعير، كما دل على ذلك حديث جبريل و هاتان العلامتان قد وقعتا.

و من علامات الساعة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم قبض العلم و ظهور الجهل، فعن أبي موسى و عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل، و يرفع فيها العلم، و يكثر فيها الهرج، و الهرج: القتل. أخرجه البخاري.

و عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، و يثبت الجهل، و يشرب الخمر، و يظهر الزنا. أخرجه البخاري و مسلم.
و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: يتقارب الزمان، و ينقص العمل، و يُلقى الشُّح، و تَظْهَرُ الفتن، و يكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله، أيم هو؟ قال: القتل القتل. أخرجه البخاري و غيره.

و أما ذهاب العلم فيكون بوجوده، إما بمحوه من القلوب، و قد كان في الأمم التي من قبلنا، و إما أن يكونَ ذهاب العلم بموت العلماء، و قد قال جماعة من أهل العلم: إن ذهاب العلم يكون بذهاب العمل به، فيحفظون القرآن و لا يعملون به فيذهب العلم. و قد تجتمع الوجوه الثلاثة في هذه الأمة، فقد يذنب الرجل حتى يذهب ذنبه علمه، و قد يقرأ العلم و يُعلمه و لا يعمل به، و قد يقبض العالم فلا ينتفع بعلمه أحد، أو يمنع قد يُمنع العالم من بث علمه فيذهب و لا يستفيد منه أحد.

و قد ورد ما يدل على أن المراد برفع العلم و كثرة الجهل: موت العلماء فلا يبقى إلا الجهال الذين يتخذهم الناس رؤساء فيضلوا و يضلوا غيرهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إن الله تعالى لا يقبض انتزاعاً ينتزعه من العباد، و لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا و أضلوا. أخرجه البخاري و مسلم.
سنتابع بإذن الله علامات الساعة الصغرى في الخطبة القادمة بإذن الله تعالى.

اللهم اهدنا في من هديت و عافنا في من عافيت و تولنا في من توليت و بارك لنا فيما أعطيت و قنا شر ما قضيت فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت تباركت ربنا و تعاليت، و لا منجا منك إلا إليك.

اللَّهُمَّ اقْسِمْنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْبَبْتَ ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا . رواه الترمذي و قال حسن غريب و صححه الألباني

اللهم توفنا مع الأبرار، و لا تجعلنا مع الأشرار، و قنا عذاب النار، و ألحقنا بالأخيار.
اللهم اجعل خير أعمارنا آخرها. و خير أعمالنا خواتيمها، و خير أيامنا يوم نلقاك.
اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، و من عذاب القبر، و من فتنة المحيا و الممات، و من شر فتنة المسيح الدجال.

اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات الأحياء منهم و الأموات.
اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.
اللهم اجعل هذا البلد آمناً و سائر بلاد المسلمين.
اللهم كن لإخواننا المستضعفين في مشارق الأرض و مغاربها. اللهم كن لهم و لا تكن عليهم.

ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار.

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

الأحزاب: ٥٦

اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار.

و أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون (٤٥)

سورة العنكبوت